قواعد منهجية في طلب العلم

إعداد
أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر
أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

هـ هـ هـ

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على النبي الأكرم، وعلى آله وأصحابه، أهل الفضل والعلم والشيم، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم على النهج الأقوم، أما بعد:

فمن فضل الله تعالى على هذه الأمة المسلمة أن جعلها أمة علم ومعرفة، وسهّل لها الطريق الموصل إلى هذا العلم، وجعله أشرف وسيلة وأفضل طريق يسلكه السالك في هذه الحياة بعد أداء الفرائض، فالعلم بالله تعالى وبرسوله غ والعلم بشرعه وأحكامه، ومعرفة حلاله وحرامه غاية كبرى، وهدف أسمى، يسعى إليه الموفقون المجدّون في هذه الحياة، كيف لا وهو ميراث النبوة؛ فالأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، والعلماء ورثة الأنبياء، «ويستدل على فضل الشيء بعظيم أثره على الناس»، ولا شك أن الله جعل للعلم أعظم الأثر في حياة الإنسان.

ومن هنا اهتم السلف الصالح رحمهم الله تعالى بطلب العلم والعناية به، والجد في طلبه وتحصيله، وتنافسوا في ذلك، فورّثوا للأمة تراثًا ضخمًا لا تجاريهم أمة من الأمم. ولما كان الأمر كذلك كان لا بد من إيضاح المنهج والطريق الذي سلكوه لتحصيل هذا العلم، فجاءت هذه الكلمات مبيّنة معالم هذه المنهجية بشيء من الإيجاز المستوفي للمطلوب قدر الإمكان، مُسْتَخْلَصَةً من منهج الأئمة الأعلام رحمهم الله تعالى[1]، ولعل هذا الإيجاز في بيان قواعد منهجية في طلب العلم يكون معينًا لطالب العلم لتفحصها وقراءتها والتأمل فيها.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات وأن يجعلها تنير الدرب

---

[1]() أصل هذه الكلمات محاضرة ألقيت في عدد من الأماكن، فطلب بعض المحبين نشرها لتعم الفائدة، أرجو أن تكون كذلك.

لطالب العلم الشرعي، آخذة بيده إلى المنهج القويم لطلب العلم لكي يصل إلى مبتغاه ومناله، حقق الله الآمال، وسدد الخطى، وعلمنا ما ينفعنا ونفعنا بما علمنا، وغفر لنا تقصيرنا، إنه عليم حكيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر

عضو

مجلس الشورى

faleh@alssunnah.com

أهمية العلم وفضل التعلّم

الحديث عن العلم والتعلّم حديث تحبه النفوس المؤمنة، وترغبه الأنفس الطموحة، وتهواه العقول النيرة، فديننا الإسلامي دين العلم والمعرفة، دين النظر والتفكّر، دين البحث والإنتاج، فالدين كله مبني على العلم، العلم بالله تعالى وبدينه، والعلم بأمره ونهيه، والعلم بمنهاج نبيه غ، فلا يعبد العبد ربه على بصيرة إلا بالعلم، ولا تستقيم الأمة على المنهاج الصحيح إلا بالعلم، ولا تسير الدعوات الإصلاحية سيرًا سليمًا إلا بالعلم.

ومن هنا كان للعلم مكانة لا يوازيها شيء، ولذلك قال علي بن أبي طالب ا: كفى بالعلم شرفًا أن يدّعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه[2].

ويقول ابن القيم: «كل ما في القرآن من مدح للعبد فهو من ثمرة العلم، وكل ما كان فيه من ذم للعبد فهو من ثمرة الجهل». ا.هـ [3].

- **والعلم** سبب لرفعة الفرد والأمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح) [المجادلة:11].
- **والعلم طريق موصل إلى الجنة**، عن أبي هريرة ا أن النبي غ قال: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله به طريقًا إلى الجنة**»[4].

---

[2] () تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تأليف الإمام بدر الدين ابن جماعة الكناني، ص(10)، متوفى سنة (733هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت لبنان، وأيضا المجموع للنووي (1/40).

وينظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر الاندلسي (1/ 69 – 70) دار الفكر- بيروت لبنان.

[3] () في كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم (1/ 115).

[4] () جزء من حديث رواه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (219) من حديث أبي هريرة ا مرفوعًا بلفظ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقا إلى الجنة» الحديث، والترمذي في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة

- **والعلم ميراث الأنبياء،** والعلماء ورثة الأنبياء، كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر غ[5].
- **والعالم والمتعلم صاحبا نور ووضاءة في الدنيا والآخرة،** فقد دعا لهما رسول الله غ بقوله: «**نضّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرب مبلَّغ أوعى من سامع**»[6].
- **والعالم والمتعلم** يفترقان عن غيرهما في التفاضل فرقًا شاسعًا في الدنيا والآخرة (ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟ) [الزمر: 9].
- **والعالم والمتعلم أعرف الناس بالله وأتقاهم وأخشاهم له؛** إذ إنهم عرفوا الله فعبدوه حق عبادته، قال تعالى: (ﯳﯴﯵﯶﯷﯸ) [فاطر: 28].
- **وطالب العلم مأجور طوال حياته؛** إذ إنه ساعٍ في سبيل الله، قال عليه الصلاة والسلام: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**»[7].
- والعلم جهاد، فالعالم والمتعلم في جهاد في سبيل الله كما سبق في الحديث السابق، ولما يتحمله في الطلب والتدريس من المشاق والتعب، ولأن من مقاصد الجهاد نشر هذا الدين على الناس فكذلك

(2602)، وأبو داود في العلم، باب الحث على طلب العلم (3275)، وأحمد في مسند الأنصار (20723). ورواه البخاري تعليقًا في كتاب العلم، باب رقم (10).

[5]() فعن أبي الدرداء قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ غ يَقُولُ: «... وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا، إنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» وبداية الحديث: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا». انظر الهامش السابق.

[6]() أخرجه أبو داود في العلم برقم (3660) باب فضل نشر العلم، والترمذي في العلم، برقم (2656، 2657، 2658) باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وابن ماجه في المقدمة برقم (230، 231، 232، 236) باب من بلّغ علمًا، وفي المناسك، باب الخطبة يوم النحر برقم (3056)، وأحمد عن ابن مسعود برقم (4146) وأنس بن مالك برقم (12937) وجبير بن مطعم برقم (16296، 16312) وزيد بن ثابت برقم (21080) متواتر كما حقق ذلك الشيخ عبد المحسن وفقه الله في رسالة مستقلة.

[7]() أخرجه الترمذي في العلم، برقم (2647) باب فضل طلب العلم، وقال: هذا حديث حسن غريب.

العلم، والله جل وعلا كما ندب إلى الجهاد ندب فئة من الناس ليتفقهوا في الدين: (... ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞ ...) [التوبة: 122].

- والعلم يبقى للإنسان **عزا ورفعة في الحياة وكذا بعد الممات،** فهو من الباقيات الصالحات للعالم والمتعلم، قال عليه الصلاة والسلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ذكر منها: أو علم ينتفع به...»[8].
- **والعلم** حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ودليل الحائرين، وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحوال، وهو الهادي إلى الهدى والرشد، والمنقذ من الضلال والهلاك، وهو الصاحب في الغربة، والكاشف عن الشبهة، مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب كما روي ذلك عن الإمام ابن القيم : وغيره، وبعد فما **هو هذا العلم الذي هذه أهميته وتلك فضائله؟**
- **هذا العلم** هو العلم الشرعي: العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله غ، العلم بتوحيد الله تعالى ومعرفة أحكام شرعه وحلاله وحرامه وترغيبه وترهيبه، والعلم بما يدل عليه من علوم الشريعة واللغة العربية.
- **هذا العلم** منه ما هو فرض عين يجب أن يعرفه كل واحد من المسلمين، وهو المعلوم من الدين بالضرورة وما يجب عليه معرفته، كأركان الإسلام، من توحيد الله تعالى، ومعرفة أحكام الصلاة، وكذا إذا كان تاجرًا وبائعًا ومشتريًا معرفة البيع والشراء وما يتعلق بهما من مسائل وأحكام... وهكذا.

ومنه ما هو فرض كفاية في الأمة، ومندوب للأفراد، وهو الذي

---

[8]() أخرجه مسلم في الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (1631)، وأبو داود في الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت (2880)، والترمذي في الأحكام، باب في الوقف (1376)، والنسائي في الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت (3651).

ذكر فضله في صدر هذه الكلمات، وهو ما يتعلق به حاجة الأمة من بيان تفصيل أحكام الاعتقاد، وأحكام الحلال والحرام، وتفاصيل ما يتعلق بالآيات والأحاديث، وما يعضد ذلك من اللغة العربية وأحكامها[9].

▪ □ ▪ □ ▪

[9] () لا يعني ذلك بخس العلوم المدنية حقها؛ ففي تعلمها أجر وخير، وبخاصة إذا قصد المتعلم فيها نفع نفسه ونفع الآخرين.

المنهجية في طلب العلم

هذا العلم سهل ميسور لمن يسّره الله عليه، وبابه مفتوح لكل طالب صدق، لكنه يحتاج إلى مقومات يتمتع بها الطالب للعلم لكي يحصّل منه ما يوفقه الله إليه، فلا بد من العمل بهذه المقومات لكي يستثمر الطالب وقته وجهده.

- هذه المقومات تتمثل في: المنهجية الصحيحة المتكاملة لطلب العلم:

هذه المنهجية إذا اقتفاها طالب العلم فسيحصّل خيرًا كثيرًا، ويسبق أقرانه بإذن الله، وينفع نفسه وأمته. وبدون المنهجية، لا يصل طالب العلم إلى مراده، أو على الأقل لا يحقق كثيرا من طموحاته العلمية، ولهذا كانت هذه المنهجية إليك يا طالب العلم، فانهل من معينها، وتفيّئ ظلالها.

هذه المنهجية نتحدث عنها فيما يلي:

- **الدواعي لبحث هذه المنهجية والتركيز عليها.**
- **سمات هذه المنهجية.**
- **فوائدها.**
- **أضرار تركها.**
- **مظاهر تركها في الواقع.**

▪ □ ▪ □ ▪

الدواعي لبحث هذه المنهجية والتركيز عليه

❐ لإبراز هذه المنهجية عوامل كثيرة، من أهمها:

1- ما يلحظ من الإقبال – ولله الحمد – من كثير من الشباب والفتيات على طلب العلم، والحرص عليه، تجدهم يقتنون كتبًا، ويحضرون لدى المشايخ في المساجد والبيوت، ولكن كثيرًا منهم لا يحصل علمًا كثيرًا وذلك لعدم منهجيته الصحيحة في الطلب.

2- ما نجده أيضًا – ولله الحمد – من كثير من الطلاب من إقبالهم على اقتناء الكتب وشرائها وكثرة قراءتها، ولكنهم إذا أرادوا أن يستثمروا هذه القراءة بعلم يحصلونه رأوا أنهم لم يحصلوا شيئًا كثيرًا، فلم يؤسسوا علمًا ناضجًا بسبب عدم المنهجية.

3- ما يلحظ أيضًا من كثرة حلق طلب العلم، وكثرة المترددين فيها، لكنك لو دققت النظر لوجدت أنهم يختلفون من ليلة إلى أخرى، ويحضر الواحد وقتًا ويتخلف آخر، وهكذا فيملون ولا يواصلون، والسبب الرئيس في ذلك كله: عدم المنهجية الصحيحة لطلب العلم.

4- والداعي الرابع: أن كل عمل يراد منه نتائج وثمار يانعة لا بد وأن يسير على منهج صحيح وواضح، وأهم هذه الأعمال طلب العلم، فلا بد له من منهجية سليمة واضحة يتعرف عليها.

5- ولأن عدم المنهجية الصحيحة في طلب العلم يجعل الطالب يسلك منهجًا وعرًا في طريق الطلب، وفي النهاية يتخلف عن الطريق، ولذلك تجد أن كثيرا منهم ملّوا من طلب العلم بعد أن أمضوا سنين عددًا، ثم ملّوا وتركوا طلب العلم نهائيًّا فضاعت جهودهم.

لهذا كله جاء بيان هذه المنهجية وسماتها لكي يسلكها طالب العلم ويتسم بهذه السمات فيحمل علمًا كثيرًا يورث عملًا صالحًا.

▪ □ ▪ □ ▪

معالم المنهجية العلمية الصحيحة

أولها وأعلاها: إخلاص النية لله سبحانه

فطلب العلم من أجلّ العبادات، بل هو أفضل من نوافل الصلاة والصيام، فهو يفتقر إلى نية خالصة لله سبحانه؛ لأنه إذا فقد العلم إخلاص النية انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، وما كان لله (دام واتصل) وما كان لغيره (انقطع وانفصل)، والعلم صيد وشِراكه النية، فمن صحّت نيته وحسن قصده، صاد من العلم دوره ونال منه عزوه، ومن فسدت نيته وساء قصده لم يصب من الصيد إلا أرذله، مما لا يقصده صائد، ولا يبشر به رائد، ومن كنوز السنة: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[10].

وبتصحيح النيات تدرك الغايات.

والسؤال: كيف تكون هذه النية؟

والجواب: بأن ينوي في طلبه للعلم التعبد لله سبحانه كما ينوي بصلاة النافلة ذلك التعبد، ثم أن يرفع الجهالة عن نفسه ثم عن الآخرين.

قيل للإمام أحمد :: كيف الإخلاص في طلب العلم؟

قال: أن ينوي رفع الجهالة عن نفسه.

يقول الشيخ محمد بن عثيمين :: «إذا قال قائل: بم يكون الإخلاص في طلب العلم؟ فالجواب في أمور:

1- أن تنوي بذلك امتثال أمر الله، لأن الله تعالى أمر بذلك، فقال: ﴿بي تج تح تخ تم تى تي ثج﴾ [محمد: 19].

---

[10]() أخرجه البخاري في بدء الوحي (1) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله غ ، وفي الأيمان والنذور (6689) باب النية في الأيمان، ومسلم في الإمارة (1907) باب قوله غ: «إنما الأعمال بالنية».

2- أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله، لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم، والحفظ في الصدور، ويكون كذلك بالكتابة.

3- أن تنوي بذلك حماية الشريعة والدفاع عنها، لأنه لولا العلماء ما حميت الشريعة، ولا دافع عنها أحد.

4- أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد غ، لأنه لا يمكن أن تتبع شريعته حتى تعلم هذه الشريعة). ا. هـ. بتصرف.

5- أن تنوي تصحيح عبادتك لله جل وعلا.

6- أن تنوي إنقاذ أسرتك من الجهالة.

7- أن تنوي تعليم مجتمعك وإنقاذه من الضلالة.

والإخلاص قد أمر الله به سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، ونص عليه رسوله غ، بل علّق قبول الأعمال عليه، قال تعالى: (ﭫﭬﭭﭮﭯﭰ) [الزمر: 14]، وقال تعالى: (ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [البينة: 5]، وقال تعالى: (ﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [الزمر: 2].

وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب ا قال: سمعت رسول الله غ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[11].

وعن زيد بن ثابت ا قال: قال رسول الله غ: «**رحم الله امرءًا سمع مني حديثًا فحفظه حتى يبلّغه غيره، فربّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ورُبّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيه، ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم**»[12].

- والتعامل مع العلم قراءة وفهمًا، تعلمًا وتعليمًا، دعوة ونشرًا من أهم الأعمال الصالحة التي يرجى بها القرب من الله سبحانه وتعالى،

---

[11] () قد سبق تخريجه.

[12] () أخرجه الإمام أحمد في مسنده (5/331)، وذكره الهيثمي في المجمع (10/190) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح.

فتحتاج حاجة عظيمة لتجريدها لله سبحانه وتعالى، فليقصد الطالب وجه الله سبحانه وتعالى مبتغيًا الأجر والمثوبة، وليحذر من أن ينحرف قصده إلى أي غرض دنيوي من طلب مال أو جاه أو شهرة، أو سمعة أو تميز على الأقران والزملاء، فإن فقدان الإخلاص وانتقال النية إلى أحد هذه النوايا ونحوها من أعظم آفات العلم والتعلم.

ولقد كان السلف الصالح يحملون همَّ الإخلاص، حتى كان أبو هريرة ا إذا حدث بحديث الثلاثة الذين أول من تسعَّر بهم النار يغشى عليه[13].

وكان سفيان الثوري : يقول: «ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي»[14].

وكان بعضهم إذا قيل له حدِّثنا، قال: لا، حتى تأتي النية[15]، وقال بعض السلف: وددت أن عبادتي بيني وبين الله، لا تراها عين، وقال بعض العلماء: «العلم صلاة السر وعبادة القلب»[16].

فعلى طالب العلم أن يتمسك بالإخلاص، فإنه العروة الوثقى والبركة العظمى في مسيرته العلمية والعملية فيخلص نفسه من شوائب الشرك الأصغر وهو الرياء، ومن حب الظهور وقصم الظهور أو طلب محمدة، أو التفوق على الأقران أو صرف وجوه الناس إليه، فهذه وأمثالها تفسد النية وتمحق بركة العلم.

▪ □ ▪ □ ▪

---

[13]() أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (1905) والترمذي في الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة (2382)، والنسائي في الجهاد، باب من قاتل ليقال فلان جريء (3137).

[14]() الجامع للخطيب (1/317) (ذكره ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم) ص(68).

[15]() الجامع للخطيب (1/317).

[16]() حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد ،ص(9)، وتذكرة السامع والمتكلم، ص(67) .

المعلم الثاني: آداب وصفات يجب أن يتحلى بها طالب العلم

الآداب كثيرة، ونصّ عليها أهل العلم، بل ألّف فيها مؤلفات[17]، لكن نذكر هنا ما تكفي فيه الإشارة عن غيرها، **ومن أهمها:**

أ ــ ملازمة خشية الله تعالى ومراقبته:

قال الإمام أحمد :: أصل العلم خشية الله تعالى[18].

قال الحسن: «كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده»[19]. ويقول سفيان بن عيينة: «إذا كان نهاري نهار سفيه، وليلي ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذي كتبت؟!».

وقد نص الله تعالى بقوله: ﴿ۇۇووۆۆ﴾ [فاطر: 28]. ففيه إشارة إلى ضرورة الخشية التي تقود إلى العمل بهذا العلم.

فالخشية تضبط سير المتعلم، وتحفزه لطلب العلم، وتكون له ضابطًا لما يسمع ويقرأ.

ثم عليه أن يراقب الله تعالى في جميع حركاته وسكناته، فتضع له هذه المراقبة سياجًا يحميه عن الزلل والخطأ، ويرده إلى جادة الصواب، ومن لوازم تلك الخشية والمراقبة، العلم بهذا الدين وبما تعلمه المتعلم، محافظًا على شعائر الإسلام ظاهرها وباطنها.

وإذا أراد الله بالعبد خيرا في بداية الطلب، كسر قلبه لخشيته، وبدأت تظهر أمارات الإخلاص على عمله وحركاته وسكناته، ولذلك قال بعض العلماء: لن يوفق الإنسان لتبليغ رسالة الله إلا بالخشية، وكلما وجدت الإنسان يصدح بالحق، فاعلم أن في قلبه من خشية الله على قدر

---

[17](1) ينظر: ما كتبه فضيلة الدكتور: بكر أبو زيد في ذلك بعنوان: حلية طالب العلم وغيره من كتب آداب الطلب.

[18]() حلية طالب العلم ص (13).

[19]() الجامع لأخلاق الراوي للخطيب (1/142).

ما وجدت فيه من الصدق والتبليغ لرسالة الله، قال تعالى: ﴿ۈۆۋۇۆۈۋۆۇۆۈۋۆ﴾ [الأحزاب: 39]، فقرن الله الخشية بالتبليغ للرسالة والأداء للأمانة، ولذلك لن يستطيع طالب علم أن يبلغ أمانته إلا بقوة خوف من الله، وكلما كمل خوفه كمل تبليغه لرسالة الله.

والخشية هي الخوف المبني على العلم والتعظيم، فالإنسان إذا علم الله حق العلم وعرفه حق المعرفة قام بطاعة الله لأ أتم قيام، ولهذا تجد أن الله يطرح البركة في علمه وعمله ويكون قدوة للناس، بخلاف العلم المجرد من التقوى والخشية فإنه قليل النفع عديم البركة.

وأول العلم «طفرة وغرور» وآخره «انكسار وخشية الله».

- ولما عيب عند الإمام أحمد : معروف الكرخي اشتغاله بالعبادة، قال :: وهل يراد بالعلم إلا ما وصل إليه معروف!! [20].
- يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: «رأيت أكثر العلماء مشتغلين بصورة العلم دون فهم حقيقته ومقصوده، فالقارئ مشغول بالروايات، والمحدث يجمع الطرق، ويحفظ الأسانيد، والفقيه قد وقع في الجدال، وعلى هذا أكثر الناس، صورة العلم عندهم صناعة، فهي تكسبهم الكبر والحماقة، فليس العلم صور الألفاظ، إنما المقصود فهم المراد منه، وذلك يورث الخشية والخوف، ويرى المنة للمنعم بالعلم، وقوة الحجة له على المتعلم» [21].
- عن عبد الله بن الإمام أحمد قال: قلت بأبي: هل كان مع معروف الكرخي شيء من العلم؟ قال لي: يا بني كان معه رأس العلم، وهو خشية الله تعالى.

---

[20] () صيد الخاطر لابن الجوزي ص(55).

[21] () هذا تلخيص لفصل (336) علماء السوء في صيد الخاطر ص (512 - 514) أيضا روي قريبا من هذه الالفاظ عن مالك: إن العلم ليس بكثرة الرواية إنما العلم نور يجعله الله في القلب. وانظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (2/174). وحلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد بلفظ: أصل العلم خشية الله تعالى ص(13).

قال عبد الله بن مسعود ا: «ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية» ([22]).

ب ـــ الرفق واللين، وعدم الاستعجال في الطلب، فإن الله يحب الرفق في الأمر كله، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما عدم من شيء إلا شانه.

ومن أراد أن يحمل العلم جملة واحدة، فسيضيعه جملة واحدة، والعلم كالرقي على الجبال العوالي، فمن أخذ يسير بسرعة وقف ولم يواصل، ومن مشى بالتؤدة والرفق وصل إلى القمة، وهكذا العلم، فمن أخذه برفق ولين وفائدة تلو أخرى فسيحصل خيرًا كثيرًا، قال أحدهم:

اليوم شيء وغدًا مثله من نخب العلم التي تلتقط
يحصل المرء بها حكمة إنما السيل اجتماع النقط

والله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، مع أنه قادر أن يقول: كن فيكون.

ومن طلب العلم في أيام وليال فقد طلب المحال، ومن حشا قلبه به شيئا فشيئا، سال واديه وأروى قاصديه، و«نهاية العجول تشتت وأفول»، ولذا كان من قواعد الأصول: «تقليل الدروس وإحكام الدروس»، وينبغي لطالب العلم أخذ العلم فنًا فنًا وشيئا فشيئا، فإن أفضل شيء أخذ الفن الواحد وإتقانه ثم يأخذ غيره، ولذا قال البعض:

وفي ترادف العلوم المنع جا إذ توأمان اجتمعا لن يخرجا

ومن الترفق في طلب العلم: إطالة الوقت في الطلب، فإن فيها خيرا كثيرا للطالب، وفي أبيات مشهورة للشافعي:

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبئك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

ففي الاستعجال جناية على العلم، «ومن تعجل شيئا قبل أوانه

---

[22]() فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب الحنبلي :.

عوقب بحرمانه».

ومن الرفق في العلم: «أن لا يهتم الطالب في البداية بالتفصيلات»، لأن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضا، ومن اهتم بالدقائق في البداية فإنه ينسى كثيرا ولن يحصل علمًا راسخًا؛ لأنه لم يؤصل، ولم يبنِ القاعدة التي تؤخذ معها تلك التفاصيل، وقد قال تعالى: (چڍ ڍ ڌ ڌ) [آل عمران: 79]، قال أبو عبد الله البخاري في تفسير قوله: (ڍ ڍ): «هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره»[23].

فعلى طالب العلم: أن يرفق بنفسه في الطلب، وبشيخه في الطلب والسؤال والوقت، وبزملائه، ويتأدب في خطابه وكلامه، فتألفه النفوس الطيبة ويألفها، ويحذر من الجفاء والغلظة، والكلمة النابية.

ج ــ الصبر والمصابرة: وهذا الأدب مهم جدًّا لطالب العلم في سيره في طلب العلم؛ لأن العلم لا بد فيه من المهانة، ولا بد فيه من التعب والنصب، ويدل على ذلك حديث عائشة ل –في قصة الوحي[24]- فقد أخبرت ل أن جبريل أخذ النبي غ فغطّه حتى بلغ منه ذلك المبلغ، يقول بعض العلماء: إن جبريل غط النبي غ ثلاث مرات حتى رأى الموت – صلوات الله وسلامه عليه- وكان بالإمكان في أول مرة أن يقول له: اقرأ باسم ربك الذي خلق، قالوا: حتى يعرف طالب العلم أن العلم لا ينال إلا بالمهانة والتعب وبالنصب، وكان إذا نزل جبريل على النبي غ بالوحي يتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد[25]، وإذا كان على ناقة جثت الناقة، وأصاب عنقها الأرض من شدة ما يناله – عليه الصلاة والسلام-، فلا بد من الاختبار والابتلاء في طلب العلم، ولهذا «من كانت له بداية محرقة صارت له نهاية مشرقة»، ويقول شيخ الإسلام: بالصبر

---

[23]() ينظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل.

[24]() أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي (4)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله غ (231).

[25]() ينظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، (2)، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب عرق النبي غ في البرد (2333) والجامع بأخلاق الراوي وآداب السامع (2/179).

واليقين تنال الإمامة في الدين، قال تعالى: (ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ) [السجدة: 24]، وهذا كليم الله موسى عليه السلام لم يهدأ له بال ولم يستقر له قرار حتى يبلغ مكان العالم الذي ذكره الله له؛ الخضر عليه السلام حتى قال عليه السلام: (ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ) [الكهف: 62]، فمشى مع غلامه يوشع بن نون حتى بلغ من التعب والنصب مبلغه (ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ) [الكهف: 60]، ولما أظهر للخضر عليه السلام حرصه على العلم، وردّه الخضر بقوله: (ﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ) [الكهف: 67]، فقال له موسى: (ﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ) [الكهف: 69]، ولذا قالوا: «على قدر المشقة تكون من الله المعونة والمؤونة».

فيا طالب العلم! عليك بالثبات والتثبيت، «ومن ثبت نبت»، روى الخطيب البغدادي أن أحد طلبة الحديث رام طلبه ورغب فيه، وحضر عند الأشياخ وجلس مجالسهم، ثم لما مر عليه الزمن رأى أنه لم يستفد شيئا ولم يحصل كبير علم، فقال: إنني لا يناسبني هذا العلم، فترك العلم، قال: فلما كان ذات يوم، مرّ على صخرة يقطر عليها الماء قطرة تلو قطرة، وقد أثّر ذلك الماء على لطافته، أثّر في هذه الصخرة على قساوتها، فقال: ليس عقلي وقلبي بأقسى من هذا الحجر، وليس العلم ألطف من هذا الماء، فعزم على الرجوع إلى طلب العلم، فرجع وبلغ ونبغ وصار ممن يشار إليه فيهم، وقد قيل للإمام أحمد وقد ظهر الشيب فيه: إلى متى وأنت مع المحبرة؟ فقال كلمته المشهورة: «مع المحبرة إلى المقبرة» ([26])، وقد قيل: «حتى تتعلم لا بد أن تتألم».

عن يحيى بن كثير قال:

من طلب العلوم بغير كد سيدركها إذا شابتني الغراب

ذكر الإمام مسلم عن يحيى بن أبي كثير قال: «لا يستطاع العلم براحة الجسم» ([27]).

---

[26]() ينظر: مفتاح دار السعادة (1/74) باختلاف يسير في الألفاظ.

[27]() ينظر: صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس

ولذا يقول ابن الجوزي :: «صناعة العلم شغلتني عن تعلم الصناعة».

وهذا شعبة بن الحجاج : يرحل شهرا كاملا في طلب حديث سمعه من طريق لم يقف عليه.

فالعلم – يا طالب العلم- طريقه طويل، وهو بحر متلاطم لا ساحل له، ولا يمكن الغوص في هذا البحر والوصول إلى أعماقه إلا بالصبر، وقد حث الله تعالى على هذه الخصلة في كل شيء، ومن أهم الأمور التي لا بد لها من الصبر: طلب العلم، والدعوة إلى الله فمن صبر ظفر، قال تعالى: (ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ ﵂ ﵃﵄) [فصلت:33-35]. وتدبر قوله تعالى: (ﮋﮌﮍﮎ) [غافر:55].

ويقول المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ويقول:

على قدر أهل العزم تأتي وتأتي على قدر الكرام المكارم العزائم

ويقول:

وما في الكون شيء مستحيل ولا صعب على عزم الرجال

وقال الناظم:

لا تحسب المجد ثمرًا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وعليك بالعزم والجد في الطلب «فإن العزم مركب الصادقين»، ومن لم تكن له عزيمة لم يفرح بغنيمته، فإن العزائم جلابة الغنائم، فاعزم

---

(612).

تغنم، وإياك وأماني البطالين!.

د ــ التواضع وخفض الجناح، ونبذ الكبر والبطر والتعالي:

فإن من علامات العلم النافع: أن الإنسان كلما ازداد علمًا ازداد تواضعًا، ومن علامات شقاء العبد بعلمه أنه كلما ازداد علمًا ازداد تكبرًا واستعلاءً، وقال غ: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه»[28]، وإذا تواضع طالب العلم منذ بدايته للطلب فإنه أحرى أن يكون التواضع سجية فيه دون تكلف إذا بلغ مبلغ العلماء، وما أجمل العلم إذا زين صاحبه بالتواضع، فهو يتأسى برسول الله غ حينما أمره بهذه الخلة الكريمة، فقال سبحانه: (ﭐﭑﭒﭓﭔ) [الشعراء: 215].

إن كريم الأصل كالغصن كلما ازداد من خير تواضع وانحنى

فلا تترفع على أقرانك وزملائك، قال غ: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»[29].

قال بعض السلف: ما دخلت مجلسا أرى نفسي أصغر الناس إلا خرجت وأنا أعلاهم، ولا دخلت مجلسًا أرى نفسي أعلاهم إلا خرجت وقد وضعني الله أدناهم[30].

- وكان العلماء يكثرون من الوصية بالتواضع؛ لأن العلم فيه طفرة وغرور.

- يقول الدكتور بكر أبو زيد :: «احذر أن تكون أبا شبر، فقد قيل: العلم ثلاثة أشبار: من دخل في الشبر الأول تكبّر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث؛ علم أنه ما يعلم» [31].

---

[28]() أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع (2588).

[29]() أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق (2018).

[30]() هذا قول أبي يوسف ذكره ابن جماعة في كتابه تذكرة السامع ص (69) باختلاف يسير في الألفاظ، ينظر أيضا: المجموع للنووي (1/53).

[31]() حلية طالب العلم ص (79)، وينظر أيضًا: حاشية تذكرة السمع لابن جماعة ص (65).

وكما قال الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يرفع نفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع!

فالعلم يحتاج أن تتذلل له، فإذا تكبرت على العلم، وإذا تكبرت عن المسألة العلمية، وإذا تطاولت على معلمك ومرشدك، وإذا أنفت نفسك أن تنال العلم من زميلك، أو تعاليت عمن هو دونك، فاعلم أنك مجانب لطريق السلف في طلب العلم، وأوضح قدوة في ذلك أن كثيرًا من الصحابة رووا عن التابعين، والشافعي درس على أحمد الحديث وهو أصغر منه[32].

وكان ابن عباس ب يأخذ بركاب ناقة زيد بن ثابت ويقول: هكذا أمرنا باحترام علمائنا[33].

ومن تواضع لله رفعه، وقال القائل:

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي[34]

هـ ـــ الحرص على اغتنام الأوقات وقوة الشباب:

عمر الإنسان مراحل يبدأ بضعف ثم قوة وينتهي إلى ضعف، والمؤمن من يغتنم أوقات قوته وشبابه، فإن هذا الوقت هو وقت التحصيل وحمل العلم، فالمحافظة على هذا الوقت فرصة غالية كم تمناها من فاتته ولكن هيهات، فاغتنمها لتصل إلى المعالي، وضاعف جدك واجتهادك، قال الحسن :: يا ابن آدم إنما أنت مجموعة أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك.

والله سبحانه وتعالى نوّه بأهمية الوقت كما هو معلوم، فالحذر الحذر! من ضياع الأوقات، فالعلم لا ينال بأجزاء من الوقت مقطعة، أو

---

[32]() ينظر: التذكرة ابن جماعة ص (29).
[33]() تذكرة السمع لابن جماعة ص (78)، والجامع للخطيب (1/188).
[34]() حلية طالب العلم للشيخ بكر أبو زيد ص (15).

بوقت الكلل والتعب، أو بوقت الفراغ من الأعمال، فالعلم لا يقبل هذا، وقد قيل: أعط العلم كلك يعطيك بعضه، وأعطه بعضك لا يعطك شيئًا[35].

يقول الشيخ بكر أبو زيد :: «استغلّ أوقات شرخ الشباب ومقتبل العمر ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية لتنال رتب العلم العالية، فإنها وقت جمع القلب واجتماع الفكر، لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال»[36].

يقول عمر ا: «تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا» رواه البخاري تعليقا مجزومًا في كتاب العلم[37]، ويقول الحسن: «طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر».

و ــ المواصلة والاستمرار في طلب العلم :

فيواصل طالب العلم ولا يمل ولا يكل، فإذا تطرق إليه الملل قرأ في التاريخ والتراجم، ولا مانع من وضع فسحة بين وقت وآخر لتستعيد النفس نشاطها، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ا: أجمعوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة؛ فإنها تملّ كما تملّ الأبدان[38].

ومن المواصلة كذلك: أن يجعل للعلم أعزَّ أوقاته وأحلاها، والتي يكون فيها صفاء الذهن وقوته، ولا يجعل للعلم الأوقات التي كلّ فيها ذهنه، وضعف فيها فهمه، فهذا قد خالف ولم ينصح نفسه.

ز ــ العمل بالعلم :

فهو زكاة العلم وهو الثمرة منه، ولا ينفع بدونه، بل قد ذم الله تعالى الذين يقولون ما لا يفعلون، قال تعالى: (گگگگ ںںڻڻڻ ۀہہہہھھ) [الصف:2 - 3] وقال تعالى: (ۀہہ) [البقرة: 44] وجاء الحث على

---

[35]() تذكرة السمع لابن جماعة ص (71).

[36]() حلية طالب العلم ص(63).

[37]() ينظر: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة.

[38]() ينظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1/126).

العمل الصالح: (ٱٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٿٿ) [سورة العصر].

ولا يثبت العلم إلا بالعمل، ولا يزداد ويقوى إلا بالعمل، فإذا تعلمت سنة فاعمل بها، واحرص عليها، وإذا تعلمت خلقًا فاضلًا فتعامل به، وهكذا تحصل العلم بالعمل.

يقول ابن الجوزي: «لقيت مشايخ يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم «العامل منهم بعلمه» وإن كان غيره أعلم منه»، ويقول أيضا: «فالله الله في العمل بالعلم، فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فقدم مفلسًا مع قوة الحجة عليه» ([39]).

ولهذا فإن من علامات العلم النافع: العمل به؛ لأن العمل هو ثمرة العلم وإلا فهو وبال وحجة على صاحبه:

وعالم بعلمه لم يعملَن معذب من قبل عباد الوثن

العمل بالعلم كمال للإنسان، وأكثر ما يعين على ضبطه ورسوخه، ووضع البركة فيه، ولذا تجد بعض طلاب العلم إذا رأيتهم ذكّرتك بالله رؤيتهم، وذلك لعملهم بعلمهم، فصاروا قدوة بأفعالهم قبل أن يصيروا قدوة بأقوالهم، قال بعض السلف: «هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل» ([40]).

وقالوا في الحكمة: (اعمل بالحديث مرة تكن من أهله) فمن عمل بما علم، ورّثه الله علم ما لم يعلم، وكم من سنن أحييت لما خرج طلاب العلم فنشروها أمام الأمة بلسان الحال قبل المقال، وروي عن عطاء أنه قال: كان فتًى يختلف إلى أم المؤمنين عائشة ل فيسألها وتحدثه، فجاءها ذات يوم يسألها فقالت: يا بني عملت بعد ما سمعت مني؟ فقال: لا والله يا

---

[39]() صيد الخاطر ص(174).

[40]() جامع بيان العلم لابن عبد الله (2/13)، وصيد الخاطر ص(173- 174).

أماه، فقالت: يا بني فيما تستكثر من حجج الله علينا وعليك[41]؟

فالله الله يا طالب العلم بالعمل، فالعمل العمل حتى لا يكون العلم حجة عليك.

▪ □ ▪ □ ▪

[41]() اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص(60).

المعلم الثالث: حفظ القرآن الكريم

وهو من أهم ما يبدأ به، فقد كان عند أهل العلم من الأساسيات التي يبدأ بها طالب العلم، **قال ابن أبي حاتم:** (لم يدعني أبي أطلب الحديث حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان)[42].ا. هـ.

والقراءة هنا بمعنى القراءة مع الحفظ.

وقال ابن عبد البر الأندلسي: «أول العلم حفظ كتاب الله لأ»[43].

والحفظ في بداية الطلب: يقوي الأساس لدى الطالب، ويجعل ذهنه حاضرًا للاستشهاد، ويقوّي ملكته العلمية، ويرد إليه ما يقرأه ويسمعه، بالإضافة إلى خيرات الدنيا والآخرة من حفظه من الشياطين، وكثرة الأجر والثواب، والطمأنينة.

وكثير من طلبة العلم اليوم يحرص على دقائق المسائل، أو الخلافيات في مسائل الاختلاف، ونحو ذلك وهو لا يحفظ من القرآن إلا شيئًا قليلًا، فحتى لو كبر طالب العلم فعليه أن يبدأ مشروع الحفظ للقرآن الكريم حتى يقوى أساسه، ويستمر معه علمه، ثم اعلم أن طالب العلم لا يليق أن يكون غير حافظ لكتاب الله جل وعلا، لأن حفظه دلالة على نعمة العلم، كما وصف الله جل وعلا: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ) [العنكبوت: 49]. فطالب العلم كلما قوي حفظه لكتاب الله، وتأمل وهو يقول مواقع الاستدلال، فإنه سيكون عنده حجة مبيّنة، يحس من نفسه أنه على نور من ربه؛ لأن كتاب الله معه.

◙ قال ابن عبد البر: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامدًا ضلّ، ومن تعدّاه مجتهدًا زلّ، فأول العلم حفظ كتاب

---

[42]() تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص(112).

[43]() جامع بيان العلم (2/204).

الله لأ وتفهمه»[44].

◙ ولذا فإن حفظ القرآن الكريم في مقتبل العمر ومطلع الشباب تأسٍّ بالسلف، وسير على جادّتهم، وسلوك لهديهم، فقد كانوا يبدؤون بحفظ القرآن الكريم قبل سائر العلوم، ويعتنون به قبل بقية الفنون، وما أن تقرأ في ترجمة أحد أهل العلم إلا وترى في سيرته: «حفظ القرآن الكريم ثم ابتدأ بطلب العلم».

◙ قال الإمام النووي: «كان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن» [45].

◙ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :: «وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علمًا: وهو إما باطل، أو قليل النفع، وهو أيضا مقدم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم: من الكلام، أو الجدال والخلاف، أو الفروع النادرة، والتقليد الذي لا يحتاج إليه، أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها، وكثير من الرياضيات التي لا تقوم عليها حجة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله» [46].

◙ إذًا فحفظ القرآن عند أهل العلم من الأساسيات التي يبدأ بها طالب العلم، وحفظه سمة بارزة في مجتمع أهل العلم وطلبته، والناظر في كتب التراجم يرى مصداق ذلك، حتى إن بعضهم كان يعاب بعدم حفظه للقرآن، ومن شواهد ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب في ترجمة عثمان بن محمد بن أبي شيبة، قال ما نصه: «ثقة

---

[44]() ينظر: جامع بيان العلم وفضله (2/204).

[45]() المجموع للنووي (1/69).

[46]() الفتاوى الكبرى (2/235).

حافظ شهير، وله أوهام، وقيل: كان لا يحفظ القرآن».

▪ □ ▪ □ ▪

المعلم الرابع: تلقي العلم عن أهل العلم

لأن الأصل في العلم أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن المشايخ وأفواه الرجال.

إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تصير أضلّ من «توما الحكيم»

هذا الدين مبني على التلقي، فلا يمكن أن يقرأ القرآن شخص فيجيده دون أن يقرأه على شيخ مقرئ، فالله سبحانه وتعالى لقّنه جبريل عليه السلام، وجبريل لقنه محمدًا غ، ومحمد غ لقنه الصحابة رضوان الله عليهم، وهكذا.

فالاعتماد على الكتب وحدها لا يكفي، قال بعض السلف: من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه.

وقال بعض العلماء: «كان العلم في صدور العلماء ثم انتقل إلى الكتب وبقيت مفاتحه بأيدي العلماء» ([47]).

و**قال الشيخ بكر أبو زيد:** «وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم»([48]).

يقول الشيخ العلامة محمد العثيمين :: «مما ينبغي على طالب العلم مراعاته أن يتلقى العلم عن الأشياخ؛ لأنه يستفيد بذلك فائدتين، بل أكثر:

■ الفائدة الأولى: **اختصار الطريق:** فبدلًا من أن يذهب يقلب في بطون الكتب وينظر ما هو الراجح وسبب رجحانه؟ وما هو القول الضعيف؟ وما سبب ضعفه؟ هذه لقمة سائغة، فالمعلم يقول: اختلف العلماء في كذا على قولين أو ثلاثة أو أكثر، والراجح كذا، والدليل كذا،

---

[47]() الموافقات للشاطبي (1/148).
[48]() حلية طالب العلم ص(31).

وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم.

■ الفائدة الثانية: السرعة: يعني سرعة الإدراك، لأن الإنسان إذا كان يقرأ على عالم فإنه يدرك بسرعة أكثر ممن ذهب يقرأ في الكتب، لأنه إذا ذهب يقرأ يردد العبارة أربع أو خمس مرات، وربما فهم أيضًا على وجه خطأ غير صحيح.

■ الفائدة الثالثة: الرابطة بين طالب العلم ومعلمه، فيكون ارتباط بين أهل العلم من الصغر والكبر). ا.هـ[49].

◙ وقد شدد السلف في ذلك؛ لأن الأمر دين، يقوله النووي في مقدمة المجموع.

◙ ولاختيار الشيخ المعلم مقاييس عدة إلا أنها ترجع إلى مقياسين:

العلم وله جانبان:

أولها: **الخدمة في العلم وأهليته فيه،** قال النووي :: «ولا يأخذ العلم – أي: المتعلم- إلا ممن كملت أهليته».

الثاني: **المعرفة بطرائق التعليم، وإجادة التربية في التعليم،** يقول السيد بدران في «المدخل»: «ينبغي أن يكون - أي المعلم - حكيما يتصرف في طرق التعليم بحسب ما يراه موافقًا لاستعداد المتعلم وإلا ضاع الوقت بقليل من الفائدة، وربما لم توجد الفائدة أصلًا!!»[50].

وهذا الجانب - أي جانب العلم - سمّاه الشاطبي «التربية العلمية» حيث يقول: «ويتصور ذلك فيمن يتبجّح بذكر المسائل العلمية لمن ليس من أهلها أو ذكر كبائر المسائل لمن لا يحتمل عقله إلا صغارها، على ضد التربية المشروعة، فمثل هذا يوقع في مصائب، ومن أجلها قال

---

[49]() شرح حلية طالب العلم للشيخ محمد العثيمين :.

[50]() المجموع للنووي (1/56).

علي: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[51]، فلا يصح للعالم في التربية العلمية إلا المحافظة على هذه المعاني، وإلا لم يكن مربيا، واحتاج إلى عالم يربّيه»[52].

والثاني: صلاحية الشيخ للاقتداء به في الدين والخلق وما إليها، يقول ابن جماعة في التذكرة: «ولا يرغب الطالب في زيادة العلم – أي: من شيخ- مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل.

ولهذا يقول ابن الجوزي في صيد الخاطر: «لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه»[53].

- فينبغي لطالب العلم إعمال ذينك المقياسين عند إرادة التتلمذ على أحد من الناس، وإذا كان الإنسان في مسيرته العادية في الحياة يحتاج إلى دليل ومرشد فكيف بهذا العلم الذي أحوج ما يكون لمرشد يدل على الطريق الصحيح.

وقيل فيمن يأخذ العلم عن الكتب: من دخل في العلم وحده، خرج وحده[54]. أي من دخل في طلب العلم بلا شيخ خرج منه بلا علم[55]، فالمتعلم من الكتاب، عرضة للخطأ والتصحيف، وزوغان البصر ونحو ذلك.

قال القائل:

من لم يشافه عالمًا بأصوله فيقينه في المشكلات ظنون

ومن لم يأخذ العلم عن أهله فسيقع في هفوات، وربما تنزلق به في

---

[51]() أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (127).

[52]() الموافقات للشاطبي (1/ 123 – 124).

[53]() صيد الخاطر ص(173).

[54]() الجواهر والدرر للسخاوي (1/58).

[55]() حلية طالب العلم ص(31).

مخاطر عظيمة فضلًا عن بطء الفهم، وفوات بدهيات العلم المتأصلة عن الشيخ، ثم هو يفقد القدوة التي يقتدي بها ويحاكيها.

ففي القراءة على الشيخ سرعة الفهم، والسلامة من التصحيف والتحريف، وجودة القدوة.

فليحذر طالب العلم من الاستقلالية في طلب العلم لئلا يقع في تلك المزالق الخطيرة، والانحرافات الكثيرة، قال الصفدي: ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صحفي ولا من مصحفي يعني لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف[56].

وبعد أن اتضح لك أهمية التلقي عن المشايخ، فبادر قبل أن تبحث عنهم فلا تجدهم.

---

[56] () حلية طالب العلم ص(32).

المعلم الخامس: الحفظ

لا يرتاب عاقل أن الحفظ من أعظم أسباب تحصيل العلم، لذا قال بعض العلماء: «العلم هو الحفظ»، وقال بعضهم: «لا خير في علم لا يعبر معك الوادي، ولا يمر بك النادي» ولقد ضرب لنا السلف الصالح أروع الأمثلة في الحفظ، فهذا عامر الشعبي : يقول: «ما كتبت سوداء في بيضاء قط، ولا استعدت حديثا من إنسان مرتين» ([57]).

- والحفظ قد يكون شاقًّا في البداية، لكن إذا اعتاده الإنسان سهل عليه، يقول الزهري: «إن الرجل ليطلب العلم وقلبه شعب من الشعاب، ثم لا يلبث أن يصير واديًا لا يوضع فيه شيء إلا التهمه».
- وقد سئل الإمام أحمد: ما الحفظ؟ قال: «الإتقان هو الحفظ»، وقال عبد الرحمن بن مهدي :: الحفظ الإتقان.
- يقول ابن الجوزي: «ينبغي لطالب العلم أن تكون جل همته مصروفة إلى الحفظ والإعادة، فلو صح صرف الزمان إلى ذلك كان الأولى» ([58]).
- ويقول الخليل بن أحمد مبينًا أهمية الحفظ: «الاحتفاظ بما في صدرك أولى من درس ما في كتابك، واجعل كتابك رأس مالك، وما في صدرك للتفقه)([59])، والحفظ هو ما يوضع في الوعاء الذي يمثل طالب العلم، ولا يستمر العلم مع الإنسان ويثبت إلا بالحفظ.

- الدين كله قائم على التلقي - كما سبق ذكره - وعلى الحفظ، فالمسلم في صلاته مقرر عليه أن يحفظ الفاتحة، وماذا يقوله في الركوع والسجود والقيام وغير ذلك.

---

[57]() جامع بيان العلم وفضله (1/81)، والجامع للبغدادي (2/253).

[58]() صيد الخاطر ص(247).

[59]() صيد الخاطر ص (247).

وقد سار السلف على هذا الأصل في تلقي العلم، واستمروا عليه وندبوا إليه، قال الإمام عبد الرزاق: كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علمًا[60]، يعني أنه في صور صاحبه.

ليس العلم ما حوى القمطر ما العلم إلا ما حواه الصدر[61]

وروى الشيخان عن ابن عمر بأن رسول الله غ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**»[62].

قال ابن عبد البر :: وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه ذهب عنه.

وإذا كان القرآن الميسر للذكر إن لم يتعاهده انفلت فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة، وخير العلوم ما ضبط أصله واستذكر فرعه[63].

وقال ابن القيم :: للعلم ست مراتب[64]:

1- حسن السؤال.
2- وحسن الإنصات والاستماع.
3- وحسن الفهم.
4- تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب.
5- التعليم.
6- وهي ثمرته؛ العمل به ومراعاة حدوده.

وهنا يرد سؤال: **ما المراد بالحفظ؟ بمعنى: ما الذي يحفظه؟**

---

[60]() كتاب الفقيه والمتفقه للبغدادي (2/127).

[61]() الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للبغدادي (2/250).

[62]() أخرجه البخاري في فضائل القرآن برقم (5031) باب استذكار القرآن وتعاهده، ومسلم في صلاة المسافرين برقم (789) باب فضائل القرآن وما يتعلق به.

[63]() التمهيد لابن عبد البر (14/133-134)، نقلًا من حلية طالب العلم ص (54، 55).

[64]() مفتاح دار السعادة (1/169).

وهذا سؤال مهم: فالسلف رحمهم الله ساروا على حفظ القرآن أولًا كما ذكرناه في فقرة مستقلة، ثم حفظ شيء من السنة؛ ابتداءً بالأربعين النووية كما سيأتي تفصيله، وحفظ متن من متون العلم في الفقه، والعقيدة، والفرائض، والنحو، وأصول الفقه، وأصول التفسير، ومصطلح الحديث. هذا هو التأسيس، وهذه هي القاعدة، فمن رام ذلك فقد رام خيرًا كثيرًا ويبشّر بمستقبل علمي زاهر مع تأصيل محمود(65).

 ولعل من المفيد أن نذكر بعض الأسباب المعينة على الحفظ وهي:

1- تقوى الله سبحانه وطاعته، قال تعالى: (ئې ئى ئى ئد ى) [البقرة: 282] اختيار الأوقات.

2- تكرار المحفوظ، وسئل البخاري عن سبب حفظه فقال ما معناه: «لم أجد أنفع من مداومة النظر».

وكان أبو إسحاق الشيرازي إذا أراد أن يحفظ درسًا أعاده مئة مرة.

3- اختيار الأوقات المناسبة، وأنسبها ما كان بعد نوم.

4- تجنب الجلوس عند المشغلات.

5- الاطمئنان النفسي له دور مهم في الحفظ، ولذا يختار الإنسان الأوقات التي يكون فيها مطمئن النفس الصافي الذهن.

6- اتخاذ القرين الجاد وتبادل المحفوظات معه، وذلك أدعى لرسوخه.

65() للأسف الشديد نجد أن - التربية الحديثة - المستقاة من الغرب أو الشرق، يعيبون تربية السلف على الحفظ، ويقولون: لا نريد نسخًا متكررة، والمهم: الفهم. فجعلوا الفهم معارضًا للحفظ، ولا شك= =في أهمية الفهم، وأنه المهم والمقصود، ولا يمكن تصور مسألة وحكمها إلا بفهمها، هذا لا غبار عليه ولا اختلاف فيه، ولكن ذلك لا يلغي أهمية الحفظ لحفظ العلم وحسن تلقيه وللتأسيس. وعند ما ضعف الحفظ في الأزمنة المتأخرة قل العلماء المتمكنون الراسخون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فالله الله في إعادة مجد الأمة بحفظ دينها وعلمها وكنوزها.

7- العمل بما تحفظ، وكان إسماعيل بن إبراهيم يقول: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به» (66).

8- تعليم العلم للناس ونشره.

9- المداومة ولو على القليل، ولعل من الحكمة في نزول القرآن منجمًا أنه أثبت في الحفظ: (ﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷ) [الفرقان: 32]، وكان الصحابة يحفظون عشر آيات ويفقهونها ويعملون بها، ثم يأخذون العشر التي تليها وهكذا(67).

وقال حماد بن أبي سليمان لتلميذ له: «تعلم كل يوم ثلاث مسائل، ولا تزد عليها»(68). وقال غ: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»(69).

10- الحجامة: جاء في الحديث الحسن عن ابن ماجه والحاكم مرفوعًا من حديث ابن عمر: «الحجامة على الريق أمثل، وفيها شفاء وبركة، وتزيد في الحفظ وفي العقل»(70).

- معوقات الحفظ:

1- **المعاصي:** قال الشافعي ::

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

2- كثرة الهموم: ولذا ينصح طالب العلم أثناء الطلب

66() ينظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (2/11)، والجامع للخطيب (2/258 – 259)، والموافقات للشاطبي (1/102).

67() تفسير الطبري (1/60)، وابن سعد في الطبقات (6/172).

68() كتاب الفقيه والمتفقه (2/101).

69() أخرجه البخاري في الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (6464) ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (783).

70() أخرجه ابن ماجه في الطب، باب في أي الأيام يحتجم (3487)، والحاكم في المستدرك (4/211).

والتحصيل بعدم الانشغال بأعمال أخرى تأخذ حيزًا من تفكيره فتكثر همومه فتغلب على طلب العلم.

3- كثرة النظر للصور عمومًا: وخاصة الصور المحرمة أو الصور التي لا تنسى.

4- ضياع الأوقات وعدم التفرغ للطلب والحفظ فيعطي العلم فضول أوقاته.

5- كثرة الأكل والشرب فتشتغل الدورة الدموية بمساعدة البطن على هضم الطعام فتضعف الذاكرة.

6- الاشتغال بالملهيات وفضول الأعمال، فينشغل الذهن عن المهمات فيضعف ويكل، ولا يقبل الجد، فهو وعاء إذا امتلأ بالفضول استغنى عن الفاضل.

7- مصاحبة البطالين، وسرّاق الوقت، وضعيفي الهمة، فيؤثّرون على الجادّ، ويسرقون وقته، ويشعلونه فلا يبقى له وقت في الحفظ والمراجعة والمذاكرة.

8- الانصياع للتقنيات الحديثة وإشغال الوقت بها كالإنترنت والفضائيات ونحوها([71]).

▪ □ ▪ □ ▪

[71]() هذه المعوقات كما هي معوقات للحفظ فهي معوقات لكل عمل جاد وبالذات طلب العلم، فليتنبه إليها طالب العلم قبل أن يفوت الأوان.

المعلم السادس: التحضير قبل حضور الدرس

قال ابن بدران: اعلم أننا اهتدينا – بفضله تعالى – أثناء الطلب إلى قاعدة؛ وهي أننا كنا نأتي إلى المتن أولًا فنأخذ منه جملة كافية للدرس، ثم نشتغل بحل تلك الجملة من غير نظر إلى شرحها، ثم نقبل على الشرح فنطالعه المطالعة الأولى امتحانًا لأفهامنا.. ثم إذا ظننا أننا فهمناه راجعنا حاشيته مراجعة امتحان لفكرنا، فإذا علمنا أننا فهمنا الدرس تركنا الكتاب واشتغلنا بتصوير مسائله في ذهننا.. ثم نذهب إلى الأستاذ للقراءة، وهنالك نمتحن فكرنا في حل الدرس، ونقوم ما عساه أن يكون من اعوجاج، ونوفر الهمة على ما يورده الأستاذ، وكنا نرى أن من يقرأ كتابًا واحدًا من فن على هذه الطريقة سهل عليه جمع كتب هذا الفن، مختصراتها ومطولاتها، وتثبت قواعده في ذهنه ا. هـ[72].

فنفهم من هذا أن السلف رحمهم الله كانوا يحضرون للدرس القادم تحضيرًا جيدًا ليس قراءة فحسب وإنما حفظه ومراجعته ومحاولة فهمه، فإذا ما ألقي عليهم في الدرس إذا بأفهامهم تستوعبه.

إذًا فلا بد من القراءة والمراجعة قبل الدرس لأجل الفهم وحل المشكل، والبعد عن السهو والزلل، ومن ثَمَّ رسوخ العلم.

▪ □ ▪ □ ▪

---

[72]() المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص (267- 268).

المعلم السابع: الاهتمام بالتأصيل والتقعيد

يقول الشيخ بكر أبو زيد : فيما نقله عن أحد السلف: «خير العلوم ما ضبط أصله واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى ودل على ما يرضاه» ([73]).

والمراد بهذا أن يهتم طالب العلم في بداية الطلب بأساسات العلوم الشرعية والعربية، فهي بمثابة الأساس القوي المكين، ونقطة الانطلاق لتصوير المسائل، والتفريع عليها، ويدخل في التأصيل والتقعيد ما يلي:

أ - ربط المتعلم بالكتب المعتمدة في كل فن من الفنون الشرعية، فمثلًا في العقيدة: ثلاثة الأصول، والمسائل الأربع، وكتاب التوحيد، ولمعة الاعتقاد، والعقيدة الواسطية، وهكذا بقية الفنون.

ب - ربط مسائل الأصول بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة، فإذا فهمت مسألة أو قاعدة فلا بد من فهم دليلها مثل: الأعمال لا تصح إلا بالنية لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات**» ([74]).

ج - التزام مذهب معين في التعليم؛ لأن كل مذهب له طريقته وأصوله ومنطلقاته، فإذا ما التزم الطالب مذهبًا سهل عليه تناول غيره، بخلاف لو تخبط بين المذاهب([75]).

د- التزام منهج معين في التعلم وعدم التخبط بين المناهج، كالذين يترددون في تعلمهم بين الشيخ فلان أو فلان، فإذا التزم الطالب هذا المنهج تبين له طريقة واضحة، وتأسس على تلك الطريقة في التلقي، ومن ثم تساعده في التأصيل والتقعيد.

---

[73]() حلية طالب العلم ص(551).

[74]() سبق تخريجه.

[75]() لا يفهم من هذه الفقرة أن الكاتب يرى التقليد المطلق لمذهب معين وإن خالف الدليل، فهذا غير مراد، ولكن المقصود معرفة طريق التعلم، أما الفتوى فلا بد أن تكون مبنية على الدليل الذي صح نقله وصرحت دلالته عند المفتي.

هـ- عدم تشتيت الذهن في النظر في مجموعة من الكتب في وقت واحد فذلك مشتت للذهن مضيع للفائدة، يقول ابن جماعة: «وكذلك يحذر في ابتداء طلبه من المطالعات –أي النظر- في تفاريق المصنفات، فإنه يضيع زمانه ويفرق ذهنه، بل يعطي الكتاب الذي يقرؤه –أو الفن الذي يأخذه- كليته حتى يتقنه» ([76]).

و - المواصلة والاستمرار في ضوء ما سبق من الربط بالكتاب والشيخ والمذهب والمنهج والدليل، ويضم إلى ذلك ما سبق ذكره من الحفظ.

▪ □ ▪ □ ▪

[76]() تذكرة السامع والمتكلم ص (117 – 118).

المعلم الثامن: العموم في تناول الفنون

يقول ابن الجوزي: «رأيت أن أخذ المهم من كل علم هو المهم».

المقصود بهذه القاعدة، أن يهتم طالب العلم بدراسة علوم الشريعة المختلفة، لأن العلوم الشرعية كلها مترابطة يكمل بعضها بعضًا، فلا يمكن معرفة كل فن من هذه الفنون إلا بمعرفة قواعد الفن وأصوله، وهكذا.

وهذه السمة لها أهميتها في تكوين القاعدة العلمية لدى طالب العلم الشرعي وإن تخصص فيما بعد بعلم منها وصار غالبًا عليه.

وهكذا كانت حالة السلف رحمهم الله تعالى، فكانوا يهتمون بمجموع العلوم دون تفريق. ثم بعد ذلك له أن يتخصص ويتبحر في أحد هذه العلوم كالفقه أو العقيدة أو الحديث وغيرها.

ولذا يقول يحيى بن مجاهد :: «كنت آخذ من كل علم طرفًا، فإن سماع الإنسان قومًا يتحدثون، وهو لا يدري ما يقول غمّة عظيمة»، ولهذا «خذ من كل شيء: شيئا، ومن هذا الشيء كل شيء».

من كل فن خذ ولا تجهل له فالحر مطلِع على الأسرار

أما من ترك هذه العمومية أو الشمولية فسيكون ناقص العلم غير مكتمل النضج، ضيق الأفق، خاطئ النظرة[77].

المعلم التاسع: الاهتمام بالدراسة النظامية

ويقصد بهذه القاعدة أن يهتم طالب العلم بالدراسة النظامية

---

[77]() لا يفهم من هذا الكلام عدم التخصص في علم من العلوم، بل التخصص مطلوب، ولكن بعد تكوين القاعدة الشمولية، فالعلوم الشرعية والعربية مترابطة، أما التبحر في أحدها فيكون بعد تكوين القاعدة الشمولية.

الموجودة الآن وبخاصة في المعاهد والكليات الشرعية، إذ إن تأسيسها كان تأسيسًا مؤصلًا، ماشيًا بالتدرج والمرحلية – الآتي الكلام عليها إن شاء الله – وهي وضعت امتدادًا لما كان عليه علماؤنا المتأخرون وعلى رأسهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ :، فإذا لاحظت مثلًا في الفقه يدرس زاد المستقنع، وفي كلية الشريعة يدرس الروض المربع الذي هو شرح لمتن الروض.

وهكذا في الحديث يدرس في المعاهد عمدة الأحكام، وفي الكلية يدرس بلوغ المرام.

ولذلك مما يخطئ به طالب العلم على نفسه ألا يهتم بدراسته تلك، ويظن أنها خلو من الناحية العلمية، وهذا تصور خاطئ يعود ضرره على الشخص نفسه.

ومن هنا تجد كثيرًا من الطلاب لا يهتم بالحضور، وإذا حضر فلأجل مجرد الحضور، ويترك المتابعة للدرس والتقييد للمعلومات، ويعتمد على ما يصور من مذكرات تكتب مشافهة مع الأستاذ، ويترك الكتب المعتمدة، فكم وقع بذلك من خطأ وزلل وانحراف عن المنهج السليم.

ثم ليتنبه الطالب كم الوقت الذي أمضاه في الكلية أو المعهد فيقضي في اليوم أكثر من ست ساعات، فإذا جمعتها في الشهر والعام خرجت النتيجة مذهلة، فمن الغبن الفاحش أن يتسول الشيطان إلى نفس هذا الطالب ويزيّن له ضياع هذه الأوقات الثمينة بشبهة أنها ليست علمية، وما كان في المسجد هو الأولى، ونحو ذلك. وهذا بلا شك من تلبي إبليس في هذا الزمان فليعي الطالب هذا الأمر، وليستفد من هذا الوقت تلقيًا من عالم، وأدبًا من أستاذ، ومذاكرة مع قرين، مع استحضار نية طالب العلم، ومن وجه آخر: على الطالب أن يضع هذه الدراسة في برنامجه العلمي ويبني عليها بقية برامجه العلمية؛ فيكمل ما كان ناقصًا ويتذكر ما كان ناسيًا ويضيف ما كان جديدًا.

▪ □ ▪ □ ▪

المعلم العاشر: المرحلية والتدرج في طلب العلم

وهذه القاعدة هي الجامعة للسمات كلها، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يقفز للعلو في الأمور الحسية، فكذلك في أمر طلب العلم، وهو المهم، فعلى طالب العلم أن يسلك سبيل التدرج، وذلك لأن التدرج سنة لا بد منها، ولهذا فإن من أعظم فوائده رسوخ العلم وثباته، ومن أجل ذلك نزل القرآن منجمًا ومفرقًا، قال تعالى: ﴿ئوئۇئۇ ئۆئۆئۈئۈئى ئىئېئې ئىئىئەئەيى﴾ [الفرقان: 32].

ويقول ابن خلدون في مقدمته: (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا، إذا كان على التدرج، شيئا فشيئا وقليلا قليلًا، يلقي عليه أولًا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله، ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك المرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شد، فلا يترك عويصًا ولا مبهمًا ولا منغلقًا إلا وضّحه وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته، هذا وجه «التعليم المفيد»، وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يُخلق له ويتيسر عليه)[78].

والتدرج يكون بما يلي في:

- المختصرات ثم المتوسطات ثم المطولات.
- الأهم فالمهم.

---

[78]() مقدمة ابن خلدون ص (458).

قال ابن عبد البر: طلب العلم درجات ورتب لا ينبغي تعدّيها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامدًا ضل، ومن تعداه مجتهدًا زلّ. ا. هـ [79].

وقال الزهري : ليونس بن يزيد تلميذه: يا يونس لا تكابر العلم؛ فإن العلم أودية، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فمن أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام. ا. هـ.

وقد سار السلف رحمهم الله تعالى على هذا المنهج القويم في:

- تصانيفهم.
- وتدريسهم.
- في التصنيف مثلًا: ما صنّفه الإمام الفقيه ابن قدامة المقدسي :، فقد صنّف في الفقه أربعة كتب رتّبها على سبيل التدرج والترقي، فكتابه عمدة الفقه للمبتدئين، ثم المقنع لمن هم أعلى منهم، ثم الكافي وفيه روايات المذهب بأدلتها، ثم المغني في الفقه المقارن.
- وفي تدريسهم ما كان يفعله كثير من العلماء سابقًا قبل الدراسات النظامية، ومنهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم : حيث كان له ثلاث حلق: حلقة للمبتدئين، وحلقة للمتوسطين، وحلقة للمنتهين، ولا يسمح : للأدنى الدخول في الحلقة الأعلى.

ما المنهج العلمي في المرحلية؟

قبل الإجابة على السؤال العملي، ينبغي أن نستحضر جميع ما قيل من سمات المنهج، لأن هذه السمات كالسلسلة مترابطة الحلقات.

ثم أقول: بعد حفظ القرآن الكريم يبدأ في تأسيس نفسه في العلوم الشرعية الأصيلة وهي التفسير والحديث والفقه والعقيدة، فيأخذ متنًا

---

[79]() جامع بيان العلم وفضله (2/204).

مختصرًا فيقرأه على شيخ، وما يمكن حفظه يحفظه، «من حفظ المتون فاز الفنون»، «من لم يتقن الأصول حرم الوصول»، فيبدأ **بالتفسير** على ما كان يبدأ به الأوائل وهو **تفسير الجلالين** – جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي – مع الانتباه لما فيها من التأويل لبعض صفات الله تعالى، فهو تفسير مختصر يبين المعنى للآيات والكلمات.

ثم **تفسير ابن سعدي** فهو أطول قليلًا، وفيه بيان معنى الآيات وبعض أسباب النزول، ثم **تفسير ابن كثير** وهكذا، وكل هذه القراءات على شيخ معتبر.

وفي **الحديث** يبدأ **بالأربعين النووية**، يحفظها ثم يقرأ شرحها.

وبعد ذلك **عمدة الأحكام** لعبد الغني المقدسي يحفظها، ويستمع إلى شرحها من أحد المشايخ المتخصصين، ثم يدخل بعد ذلك **بلوغ المرام** للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :، وإن حفظه فهو أحسن وإلا فيكفي استحضاره مع الاستماع إلى شرحه من أحد العلماء.

ثم يجعل لنفسه قراءات في المطولات ابتداءً بالصحيحين، ثم السنن مع أحد شروحها.

وفي الفقه يبدأ بزاد **المستقنع** في الفقه الحنبلي لموسى الحجاوي، ثم **منار السبيل** لابن ضويان أو **الروض المربع**، ثم **التعليق عليها** ثم **الكافي** وهكذا، ويحفظ منها زاد المستقنع، والباقي يدرس شرحًا، هذا إذا كان في بيئة حنبلية أما إذا كان في بيئة حنفية أو مالكية أو شافعية فيقيس عليها ما ذكر، يبدأ بمختصر ثم المتوسط من كتب المذهب ثم المطول.

وفي العقيدة: يبدأ **بالأصول الثلاثة والمسائل الأربع** حفظًا وشرحًا، **وكتاب التوحيد** حفظًا وشرحًا ، وكلها في توحيد العبادة، ثم **لمعة الاعتقاد، والعقيدة الواسطية**، ثم **الطحاوية** مع شرحها دراسةً، وكلها في مسائل العقيدة بعامة.

وفي الفرائض: متن **الرحبية** مع شرحها، فإن حفظها فهو أولى.

وبعد ذلك العلوم المؤصلة والمقعدة أو المساعدة:

ففي أصول التفسير: أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية :.

وفي مصطلح الحديث: نخبة الفكر لابن حجر حفظًا وشرحًا، ثم علوم الحديث لابن الصلاح ثم المطولات.

وفي أصول الفقه: الورقات للجويني حفظًا وشرحًا، أو مذكرة أصول الفقه للشيخ محمد العثيمين :، ثم روضة الناظر دراسةً.

وفي النحو: الآجرومية، ثم ملحة الإعراب للحريري. وبعدها ألفية ابن مالك : مع أحد شروحها دراسة وإن حفظت فأجود.

ومن المسائل المهمة لطالب العلم: «أن يتخذ زميلًا ملازمًا جادًا يعينه في طريقه» بحيث يشد كل منهما من أزر الآخر ما حفظه من العلم، ويقرآن معًا، ويراجعان معًا، ويا حبذا لو جعلا لهما برنامجًا خاصًّا ثابتًا، علاوة على حضور الحلقات والمجالس العلمية والخاصة، وإن اتخاذ مثل هذا الزميل الصالح الناصح الملازم لك، والذي يشاركك برنامجك لطلب العلم، هو من أعظم الوسائل المعينة على التحمس لطلب العلم الشرعي، لأن المرء ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه الصالحين الناصحين الجادين!!

ثم تصوّر – أخي القارئ - أن طالب العلم الذي حفظ هذه الأشياء وقرأها فلا شك أن السبيل بعد ذلك سيسهل عليه، مع تلك القواعد والأصول العظيمة التي بقيت محفوظة في صدره.

بعد هذه القواعد ينطلق إما للتخصص في فن منها وإما لمجموعها بالالتزام أيضًا بالمرحلية، ولا مانع بعد ذلك أن يوسع قراءته وكتابته وممارسته العلمية[80].

---

[80]() من المهم أن يزوّد الطالب نفسه بالقراءة العامة في المجالات الأخرى؛ كالسيرة النبوية، وسير الخلفاء الراشدين، وسائر الصحابة، والعلماء من بعدهم إلى زماننا هذا، ففي ذلك شحذ الهمة وعلوّ الطموح، والتاريخ، والشعر، والأدب، والثقافة العامة، وبخاصة ما يتصل بشمولية الإسلام ومواقفه من قضايا الحياة المختلفة، والمستحسن أن يحفظ بعض الأشعار المفيدة، والطالبة تقرأ ما يخصها مما يهمها. وكل ذلك يكون بإرشاد وتوجيه من المعلم.

المعلم الحادي العاشر: محاسبة النفس والاستكثار من الزاد الإيماني وأعمال القلوب

◉ استمع إلى شيخ الإسلام ابن تيمية : وهو يقرّر لنا هذه الحقيقة، فيقول: «لا بد للعبد من أوقات يتفرد فيها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكره، ومحاسبته لنفسه، وإصلاح قلبه».

◉ وجاء في ترجمة الإمام ابن حجر العسقلاني: «أنه كان ملازمًا لقيام الليل وسنة الضحى، ويسرد الصوم (أي يكثر الصيام)، وواظب أخيرًا على صوم يوم وإفطار يوم، وكان كثير البر بالفقراء» [81].

◉ وتأمل إلى الخطيب البغدادي وهو يقرر هذه الحقيقة بقوله: «فطالب العلم على الأخص ينبغي أن يكون له ورد، من صلاة وقرآن وذكر ودعاء، وتخصيص يوم من الأسبوع لصيامه، وساعة يحاسب فيها نفسه قبل أن يحاسب، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرون بعيوبه ويصدقون عن نفسه، وهذه عبادة الروح» [82].

◉ واستمع إلى الإمام ابن القيم وهو يصف لنا أثر الزاد الإيماني في تقوية الهمة والحماسة لطلب العلم بقوله: «إن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية : في مشيته وكلامه وإقدامه وكتابته أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة

أما المقصود فيما سبق بيانه من التدرج هو التأصيل العلمي الدقيق الذي لا يغني عن غيره، ويكمّله غيره، فليتنبه إلى ذلك.

[81]() النجوم الزاهرة (5/533) نقلًا من كتاب ابن حجر العسقلاني للدكتور شاكر محمود (1/183).

[82]() الفقيه والمتفقه للبغدادي (2/109).

وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرًا عظيمًا»[83].

وقد قال أيضًا: «والذكر قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته، وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ هذا الغداء لسقطت قوتي»[84].

◉ إذن لا يسوغ أبدًا بأي حال من الأحوال أن يكون طلاب العلم قساة القلوب، جامدي الأعين، لا يتأثرون بآية ولا موقف ولا حدث، من الخير العظيم والقوة العلمية أن يكون ضمن برنامج طالب العلم الورد اليومي من القرآن الكريم والأذكار والدعاء وكثرة الصلاة وبخاصة قيام الليل وشيئا من الصيام في الشهر، وجزءًا من الإنفاق الخيري والإحسان بأي نوع من أنواعه، فيدرب نفسه على ذلك حتى يكون سجية له، جزءًا من حياته اليومية، فسيرى أثر ذلك في سيرته العلمية والدعوية، وأثر ذلك على حياته وحياة أسرته.

▪ □ ▪ □ ▪

---

[83]() الوابل الصيب لابن القيم (1/106).

[84]() الوابل الصيب لابن القيم (1/63).

المعلم الثاني العاشر: دعاء الله سبحانه بالتوفيق في مسيرة العلم والعمل

إن طلب العلم الشرعي وتحصيله هو هبة ومنحة من المولى جل وعلا، يمنّ بها على من كان مستحقًّا لها من عباده، فإذًا الجأ إلى الله سبحانه، وتذلل له لعلك أن تكون من المقبولين، وقد أمرنا الله سبحانه بدعائه واللجوء إليه، فقال عزّ من قائل: (ﭙﭚﭛﭜﭝ) [غافر: 60].

◉ وكان سلف الأمة الأبرار وأئمتها الأخيار يلجؤون إلى الله ويدعونه في كل أحوالهم وشؤونهم، ومن ذلك إذا أشكلت عليهم مسألة علمية أو عسر عليهم فهمها، فكان الرب يستجيب دعاءهم ويفتح عليهم من خزائن علمه وفضله وجوده.

◉ قال شيخ الإسلام: «ربما طالعت في تفسير الآية الواحدة مائة تفسير فلا أفهمها، ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علّمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها، وأمرغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علّمني» (85). فماذا كانت النتيجة؟ لقد علّمه معلم آدم وإبراهيم عليهما السلام، وفقد فهمه مفهّم سليمان عليه السلام، فكان ابن تيمية أعجوبة الفهم والحفظ والاستنباط! فيا طالب العلم: إذا أردت العلم فالجأ إلى ربك ومولاك، وانطرح على بابه وتذلل له، وانكسر لعظمته وجلاله، لعل الله يفتح عليك من بركاته العلم والفهم والحفظ ما لا يخطر على بالك ولم يَدُر بخيالك!!

85() «تفسير سورة الإخلاص» لابن تيمية.

وقفات ختامية

❐ الوقفة الأولى: فوائد وثمرات السير على هذه المنهجية:

إن من سار على هذه المنهجية بتكاملها فسيجني ثمرات عظيمة منها:

1- التأصيل العلمي الراكز الواضح الذي به يتصور طالب العلم العلمَ الذي ندب نفسه لحمله فيكون علمًا منطلقًا من قواعده وأصوله.

2- الاستيعاب والشمول في فهم المسائل العلمية، فيفهمها من جميع جوانبها، فلا يفهم الحديث دون مسائل الاستنباط منه، ولا الفقه بدون دليله، ولا القاعدة بدون مثال، وهكذا.

3- العمق العلمي البعيد عن الضحالة العلمية ذو الصفة الواسعة، فيتصور المسألة، مع حكمها، ودليلها، ومع التمثيل عليها في واقع الناس المعاش، وما ينبغي فعله، وهكذا، وإن كانت مسألة خلافية فيعرف الأقوال مع الأدلة، وترجيح كل مذهب، والمفتى به عند أهل العلم.

4- عدم نسيان العلم وبقاؤه لدى طالب العلم، فلنا أن نتصور أن طالبًا حفظ القرآن، وبلوغ المرام، وعمدة الفقه، والأصول الثلاثة، وكتاب التوحيد، ولمعة الاعتقاد، ومقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ونخبة الفكر، والرحبية، والآجرومية، والورقات، هل لمثل هذا أن ينسى العلم؟ كلا بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.

5- سهولة تناول العلم، فإذا أتم تلك المحفوظات وسار على تلك المنهجية يسهل عليه تصور العلم وتناوله، ويبقى به شغوفًا.

6- حب العلم لأنه بدأ الطريق من أوله، فلا شك أن مثل هذا ليس كزميله الذي تخبط في أودية متشعبة فهلك وضاع.

7- الأجر والمثوبة التي يحصل عليهما طوال حياته.

8- الأمن من الزيغ والانحراف لأنه بهذه المنهجية سلك طريقًا سليمًا وأمن على نفسه من الانحراف، فالذي يأخذ العلم من الكتب معرض لذلك خلاف الذي يسير على منهج واضح بين.

9- الأمن والأمان في هذا الطريق، فيكون مطمئن النفس والبال، مرتاح الضمير والخاطر، ليس قلقًا من طريقه ولا مكتئبًا منه.

❐ الوقفة الثانية: سلبيات وأضرار عدم السير على المنهجية العلمية:

لا شك أن التخبط والفوضوية في طلب العلم يؤدي إلى سلبيات كثيرة، ومنها:

1- التخبط في العلم وعدم الاستقرار العلمي والفكري، فالذي لا يسير على منهج ثابت يتردد بين كتب ومشايخ؛ فتارة في هذا الكتاب، وتارة عند هذا الشيخ؛ فلا يمسك جادة مستقيمة، فهذا لا يحصل إلا ضياعًا.

2- عدم التأصيل والتقعيد العلمي، فليس عنده منطلقات ينطلق منها لتناول العلوم والمسائل، فتجده يعمل قاعدة تارة ويخالفها أخرى.

3- عدم الاستيعاب والشمول، فمثل هذا الذي يتخبط يجهل أشياء كثيرة من العلوم، كالذي يهتم مثلًا بالحديث دون بقية العلوم وهو في صغره، لا شك أنه سيهمل أشياء وعلومًا كثيرة، وستفوته لعدم تأصيله للعلوم الشرعية بشموليتها.

4- الملل والضيق من طلب العلم فتجده يحضر عند هذا الشيخ تارة فيمل؛ لأنه لم تناسبه طريقته، ويذهب إلى آخر وهكذا، والعيب فيه حيث لم يدرك منطلقات الشيخ.

5- الضحالة العلمية وعدم العمق؛ لأنه لم يأخذ إلا نتفًا من هنا وهناك.

6- قد يجره هذا التخبط إلى الاهتمام بجزئيات المسائل دون القواعد، فيجلس مع الآخرين في جدل عقيم وطويل فيها؛ لأنه لا يعرف إلا

هي، فيظنها هي العلم.

7- التعالي على الآخرين، لأنه يثير المسائل التي أطال التعلم والبحث فيها، فيظهر للناس أنه أعلم الحاضرين، وما درى أن هذا داء عضال يفتك به من حيث لا يشعر، وقد يجره هذا التعالم إلى داء أخطر وهو التسرع في الفتوى فتزل قدمه بعد ثبوتها.

8- عدم الوصول إلى الغاية التي يرجوها والهدف الذي يريد السعي إليه؛ لأنه لم يسلك الطريق الموصل إليه.

❐ الوقفة الثالثة: مظاهر عدم المنهجية في واقع طلبة العلم اليوم:

إن الناظر في واقع طلبة العلم اليوم يغمره الفرح والسرور مما يرى من الإقبال العلمي من قبل الشباب والفتيات، وهذا أمر محمود بلا شك، وعلامة صحوة مباركة، وإقبال يحمد، ولكن عندما يدقق النظر يرى أن الكثير ممن سلك هذا السبيل أخطأ الطريق وجانب الصواب، ومن مظاهر ذلك:

1- رأسها: وهو عدم التدرج والترقي في طلب العلم، فترى إقبالًا على المطولات قبل المختصرات، وعلى كتب الخلاف قبل التقعيد وهكذا، وهذا ظاهر.

2- عدم الارتباط بشيخ محدد أو أشياخ معينين في مختلف الفنون، فترى الكثير يتنقل بين المشايخ دون أن يتخرج عند شيخ معين أو يكمل منهجا معيّنًا.

3- عدم ترتيب الأوقات وضياعها، وإعطاء العلم فضول الأوقات، أو أوقات الكسل والراحة فضلًا عن عدم منهجية الحياة.

4- عدم الارتباط بكتاب محدد من المختصرات أو غيرها، فيبدأ بكتاب، وإذا مشى فيه قليلًا تركه إلى آخر وهكذا.

5- عدم الرجوع إلى الكتب الأصيلة وخاصة طلاب الكليات، وإنما يرجعون إلى ما يقيد في المذكرات، وهذا أمر ظاهر للأسف الشديد.

6- ترك العمومية أو الشمولية في تناول الفنون، فتجد أن بعض طلبة العلم يهتم بجانب من العلوم وهو جاهل فيما عداه.

7- ظهور ظاهرة ترك المذاهب عند المبتدئين، فيتخبطون الطريق لرجوعهم إلى المطوّلات التي لا يدركونها.

8- العزوف عن الدراسة النظامية بحجة أنها لا تخرج عالمًا، فيضيع الوقت على نفسه، وما درى أن ذلك من مخادعة الشيطان.

9- عدم الحفظ وترك حفظ المتون، فلا يبقى في الصدر شيء.

10- الاستعجال في طلب العلم ويريد النتائج بسرعة زائدة، فلا يصبر مع الأيام والليالي كما كان السلف رحمهم الله يصبرون.

11- الاهتمام بغرائب المسائل وإكثار الجدل حولها.

12- الاهتمام بمسائل الجدل وإظهار التعالم فيها.

13- عدم حضور حلقات العلم في المساجد؛ لأن طالب العلم لا غنى له عن تلقّي العلم عن الأشياخ في بيوت الله.

❐ الوقفة الرابعة: المعوقات عن طلب العلم باختصار:

وعلى طالب العلم أن يتجنب المعوقات التالية:

1- فساد النية. 2- حب الشهرة والتصدر (الشهوة الخفية).

3- التفريط في حلقات العلم. 4- كثرة الأشغال في مرحلة طلب العلم.

5- التفريط في طلب العلم في الصغر. 6- تزكية النفس.

7- عدم العمل بالعلم. 8- اليأس واحتقار الذات.

9- التسويف. 10- عدم السير في طلب العلم على منهج واضح.

11- عدم الصبر، والملل والفتور. 12- التساهل في الطلب.

13- القراءة في المطولات قبل المختصرات. 14- إعطاء العلم فضول الأوقات.

15- عدم طلب العلم على شيخ معتبر.

16- الميل للتعصب وعدم فهم وجهة الرأي الآخر.

17- الانخداع بالفهم أولًا قبل الحفظ، فالحفظ أولًا كما سبق.

18- ادعاء الاجتهاد قبل التمكن.

19- كثرة الجدل العقيم.

20- إظهار التعالم على الآخرين.

21- عدم احترام المشايخ أو من سبقك.

22- الرجوع إلى المذكرات دون الكتب الأصيلة.

23- الثورة على المذهبية بإطلاق.

24- الكبر والتعالي على الآخرين.

25- حسد الأقران واتهامهم.

26- القول على الله بلا علم.

27- عدم الثبات على قاعدة ومنهج في طلب العلم (التذوق).

▪ □ ▪ □ ▪

الخاتمة
خلاصة وتوجيهات

إن ما ذكر من سمات المنهج في طلب العلم وقواعده يمثل المنهج المتكامل الصحيح المتوازن لطلب العلم، ولذلك وفي ختام هذه الكلمات أوصي نفسي وإخواني طلاب العلم، وبخاصة المبتدئين والمتوسطين، ممن يمثلون طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية، وطلاب المرحلة الجامعية ومن في حكمهم، ونحن نعيش ظروفًا اجتماعية معينة، ونظامًا دراسيًّا يطبق في أرجاء البلاد، بل في كثير من البلدان، أوصيهم بما يلي:

1- تجديد النية الخالصة في طلب العلم كما سبق بيانه.

2- الاستعانة بالدعاء باستمرار بأن يرزقك الله العلم النافع والعمل الصالح، فإن ذلك خير معين على السير في طلب العلم؛ (ذذثث) [طه: 114].

3- التخلق بالجبلة أو بالاكتساب بأخلاق طالب العلم، فلا ينال العلم بدون أخلاق.

4- السير بالمنهجية المذكورة، والتركيز على استثمار العمر الدراسي في الطلب النظامي، مع ما ييسِّره الله من تكميل النقص بالالتزام بإحدى الحلق العلمية ذات التأصيل الشرعي.

5- التزام الكبار من العلماء ماداموا موجودين، فهم أهل الفهم والتأصيل والتقعيد، قبل أن نبحث عنهم فلا نجدهم.

6- الاهتمام بالتطبيق العملي لما درس فهذا يعين على إثباته.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا من العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في أمورنا كلها، والسير على منهاج نبيه غ، إنه سميع قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغيّر

عضو

مجلس الشورى

faleh@alssunnah.com

▪ □ ▪ □ ▪

فهرس المحتويات

الموضوع
الصفحة

المقدمة 3
أهمية العلم وفضل التعلّم 5
المنهجية في طلب العلم 9
الدواعي لبحث هذه المنهجية والتركيز عليه 10
معالم المنهجية العلمية الصحيحة 12
المعلم الأول: إخلاص النية لله سبحانه 12
المعلم الثاني: آداب وصفات يجب أن يتحلى بها طالب العلم 16
المعلم الثالث: حفظ القرآن الكريم 29
المعلم الرابع: تلقي العلم عن أهل العلم 32
المعلم الخامس: الحفظ 36
المعلم السادس: التحضير قبل حضور الدرس 42
المعلم السابع: الاهتمام بالتأصيل والتقعيد 43
المعلم الثامن: العموم في تناول الفنون 45
المعلم التاسع: الاهتمام بالدراسة النظامية 46
المعلم العاشر: المرحلية والتدرج في طلب العلم 48
المعلم الحادي العاشر: محاسبة النفس والاستكثار من الزاد الإيماني 53
المعلم الثاني العاشر: دعاء الله سبحانه بالتوفيق في مسيرة العلم والعمل 55
وقفات ختامية 56
الخاتمة: خلاصة وتوجيهات 62

▪ □ ▪ □ ▪